وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

ادارة وتنظيم الاعلام في المجتمع الديمقراطي
- التنظيم الذاتي للنشاط الاعلامي-

أ.م.د. حافظ ياسين الهيتي
كلية الآداب/ جامعة الانبار

١٤٣٧ هـ
٢٠١٥م

ـ الملخص ـ

عبّر عدد كبير من اساتذة الاعلام والمفكرين عن قناعتهم من ان التنظيم الذاتي للإعلام هو السبيل الامثل المتاح للتحرر من قيود الحكومات والذي يضمن سلامة المهنة من أي تدخل يحد من حريتها ، ويضمن استمرار الممارسة المهنية للإعلام بأقل قدر من الخروقات والخسائر وبأعلى درجة من تحقيق الاعلام لمسؤوليته تجاه المجتمع.

وقد صيغت مشكلة البحث بتساؤلين رئيسين هما:-

- ماهي القواعد الاخلاقية الاساسية في العمل الاعلامي التي اقرتها نظرية المسؤولية الاجتماعية ومواثيق الشرف الصحفية؟
- ماهي آليات التنظيم الذاتي في العمل الاعلامي، وكيف تقوم بأداء وظيفتها؟

وتكمن اهمية هذا البحث في ان آليات التنظيم الذاتي في العمل الاعلامي احد اكثر الصيغ اعتمادا اليوم في ممارسة النشاط الاعلامي، اذ امكن عن طريقها تحقيق وبدرجة نجاح كبيرة التوازن الصعب بين حرية الاعلام ومسؤوليته الاجتماعية.

وقد هدف البحث الى تقديم رؤية مفيدة لما يمكن ان تكون عليه ادارة وتنظيم الاعلام ذاتيا، وسبل تحقيق ذلك باستكمال الشروط الضرورية له.

والبحث من البحوث الوصفية التي تهدف الى تصوير ظاهرة محددة بهدف الحصول على معلومات كافية عنها واستخلاص نتائج مفيدة منها.

أما أبرز النتائج التي خرج بها البحث فهي إن آلية التنظيم الذاتي للعمل الاعلامي آلية عملية يمكن تطبيقها وليست خيالية صعبة التحقيق، وان اعتماد التنظيم الذاتي للعمل الاعلامي يجنب النشاط الاعلامي شرور التدخل الحكومي الذي يفسد حرية الصحافة، هذه الحرية التي هي عصب الاداء الاعلامي السليم وروحه ومادته.

وأوصى الباحث في الأخذ بالتنظيم الذاتي للعمل الاعلامي في العراق لأنها الصيغة الامثل في العمل الاعلامي والتي اثبتت جدارتها في تحقيق التوازن الصعب بين ممارسة الحرية الصحفية بأبعادها الواسعة مع المحافظة على الالتزام بالمسؤولية تجاه المجتمع.

الكلمات المفتاحية: (إدارة ، تنظيم ، التنظيم الذاتي للإعلام)

المقدمة:

من الملاحظ هناك تزامنا بين وجود وسائل الاعلام ووجود القوانين والقواعد التي تنظم عملها أي أن هناك علاقة تلازميه بين الاعلام الجماهيري والقوانين التي تنظم عمله بصرف النظر عما في هذه القوانين من جوانب الضعف والقوة.

وبسبب التزايد الكبير والمتسارع في أنواع وأعداد وسائل الاعلام المختلفة انبثق توجه عام في دول العالم المختلفة لتنظيم العمل في وسائل الاعلام وفق قواعد أخلاقية يتمسك بها الصحفيون بشكل ذاتي وطوعي، لأن الالتزام الذاتي بأخلاقيات العمل الاعلامي أمضى واقوى من القوانين.

وتكمن أهمية هذ البحث في إن التنظيم الذاتي للنشاط الاعلامي يوفر امكانية تحقيق التوازن بين حرية الاعلام ومسؤوليته الاجتماعية، وأنه أصبح اليوم أكثر الصيغ قبولا في العمل الاعلامي

وصيغت مشكلة البحث بتساؤل رئيس هو ماهي القواعد الاخلاقية الأساسية في النشاط الاعلامي؟ أو آليات التنظيم الذاتي لهذا النشاط، وقد هدف البحث الى تقديم تصور متكامل لمفهوم وآليات التنظيم الذاتي للنشاط الاعلامي.

والبحث دراسة وصفية ترمي الى تصوير ظاهرة أو موقف محدد بهدف الحصول على معلومات كافية عنها واستخلاص نتائج مفيدة منها.

الصعوبات التي واجهت الباحث تمثلت في ندرة المعلومات الخاصة بهذا الموضوع فضلاً عن عمومية ما كتب بهذا الخصوص وعود وجود اطر نظرية أو ميدانية واضحة له.

تضمن البحث خمس مباحث خصص الاول لمنهجية البحث، اما الثاني فقط تطرق للاسباب التي ولدت الحاجة الى التنظيم الذاتي للاعلام، فيما تناول المبحث الثالث أخلاقيات الاعلام مفهوماً وتعريفاً وفلسفة، والمبحث الرابع استعرض الابعاد المهنية الثلاث لأخلاقيات الاعلام، أما المبحث الخامس والأخير فقد تناول آليات تطبيق التنظيم الذاتي للنشاط الاعلامي باعتماد مجاس الصحافة الامبودسمان (محامي القراء) وقد ثبت الباحث في نهاية بحثه النتائج التي توصل اليها وعدد من التوصيات بخصوص مشكلة البحث.

المبحث الأول: منهجية البحث

مشكلة البحث:

يمكننا صياغة مشكلة البحث بالتساؤل الآتي:

- ماهي القواعد الاخلاقية الاساسية في العمل الاعلامي التي اقرتها نظرية المسؤولية الاجتماعية ومواثيق الشرف الصحفية؟
- ماهي آليات التنظيم الذاتي في العمل الاعلامي، وكيف تقوم بأداء وظيفتها؟

اهمية البحث:

تكمن اهمية هذا البحث في الآتي:

-ان آليات التنظيم الذاتي في العمل الاعلامي احد اكثر الصيغ اعتمادا اليوم في ممارسة النشاط الاعلامي، اذ امكن عن طريقها تحقيق وبدرجة نجاح كبيرة التوازن الصعب بين حرية الاعلام ومسؤوليته الاجتماعية.

- ان تنفيذ الالتزامات الاخلاقية يتطلب تنظيم مهني ذاتي لوسائل الاعلام بحيث تكون الوسيلة الاعلامية حرة وتُدار ذاتيا بالاعتماد على مواثيق الشرف واخلاقيات مهنة الاعلام.

- ان ما يشهده العراق اليوم من تغيير شامل في الميادين المختلفة يتطلب منا تلمس واعتماد النظم الاكثر نجاحا والاكثر فاعلية في تنظيم النشاط الاعلامي في العراق.

هدف البحث:

يهدف البحث الى تقديم رؤية مفيدة لما يمكن ان تكون عليه ادارة وتنظيم الاعلام ذاتيا، وسبل تحقيق ذلك باستكمال الشروط الضرورية له كإقرار مواثيق للشرف الاعلامي، وانشاء المجالس، او المنظمات التي تراقب مدى التزام الاعلاميين، ووسائل الاعلام بالقواعد السلوكية والقيم الاخلاقية التي اقرتها مواثيق الشرف وصادقوا عليها بأنفسهم.

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث على دراسات علمية سابقة في الموضوع إنما عثر على مقالات وتصورات نظرية حول هذا الموضوع.

نوع البحث:

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تهدف الى تصوير ظاهرة محددة بهدف الحصول على معلومات كافية عنها واستخلاص نتائج مفيدة منها، وقد استعان الباحث بمصادر عدة في جمع افكار وآراء ومعلومات هذا البحث.

المبحث الثاني: الاسباب والتطورات التي ولّدت الحاجة الى التنظيم الذاتي للإعلام..

قبل اختراع الطباعة ذات الحروف المتحركة قامت(وريقات الاخبار)* المكتوبة باليد ببعض مهام الصحافة، وقد تخصص في كتابة هذا النوع من الاخبار جماعة من المحترفين الذين غالبا ما كانوا يبيعونها للنبلاء وكبار التجار لقاء اجر معلوم، وكانت مدينة البندقية مركزا مهما لهذه الاخبار لأنها كانت تتمتع بسمعة علمية واسعة الى جانب مركزها المالي المميز، وقد تميّز الخبر المخطوط بتحرّره من الرقابة الحكومية والدينية، لذا انتشر بشكل كبير في مختلف بلدان اوربا، واصبح له ما يمكن تسميته بوكالات الانباء.

لقد رافق نشوء هذه الوريقات الاخبارية منذ البداية بعض العيوب اذ حاول قسم من المخبرين استغلال بعض الاسر بتهديدها بفضح اسرارها اذا لم تجزل لهم العطاء، مما اضطر هذه العوائل للدفع لإسكات هؤلاء المخبرين.(١)

وقد قام بعض الباباوات بإدانة عدد من محرري تلك الوريقات الاخبارية التي ظهرت في ايامهم وفرضوا عليها الرقابة لما فيها من اثارة، هذه الاثارة التي كان الهدف منها هو كسب أفراد الطبقات الشعبية الجديدة التشكّل من العمال العاملين في المصانع التي بدأت تنتشر في بلدان اوربا أبان الثورة الصناعية عن طريق توفير مضمون مبسّط يتميز بالسطحية والاثارة، والتركيز على الامور والاخبار بالطرق التي تستميل الطبقات الشعبية.(٢)

بعد اختراع الطباعة على يد غوتنبرغ منتصف القرن الخامس عشر وظهور النماذج الاولى للصحف الحديثة، تواصلت المحاولات المحمومة لكسب القراء عن طريق الاثارة، وازدادت هذه المحاولات ضراوة بعد ظهور ما سمي بصحف البنس (الصحيفة التي تباع باقل من سعر التكلفة) والتي تعتمد على الاعلان في وارداتها لسد تكاليف النشر وتحقيق ارباح اضافية، والتي كان رائدها ومكتشفها احد رجال الطباعة المغمورين في نيويورك وهو (بنيامين داي) الذي اصدر صحيفته الصغيرة (نيويورك سن) في ايلول من عام ١٨٣٣، والتي حققت نسب توزيع مثيرة جدا في ذلك الوقت اذ وصل توزيعها عام ١٨٣٧ الى٣٠ الف نسخة يوميا، وهو رقم يفوق اجمالي توزيع كل صحف نيويورك انذاك.(٣)

ان رقم توزيع الصحيفة مؤشرا هاما للفائدة التي يتوقعها المعلن من الاعلان في مثل هذه الصحف، وقد درّ الاعلان ارباحا طائلة لبنيامين داي جعلت الكثيرين يقلدونه، واحدثت

طريقته ثورة في عالم الصحافة. واصبح الاعلان منذ ذلك التاريخ المصدر الحقيقي للدعم المالي للصحف ووسائل الاعلام الاخرى.

وفي حومة التنافس الشديد بين الصحف اندلعت صراعات وحشية للاستحواذ على القراء ومن ثم المعلنين، اذ قام اصحاب الصحف بإعادة صياغة الاخبار لتلائم اذواق ومصالح الجماهير الاقل تعليما في المجتمع وهكذا امتلأت الصحف المثيرة عن المحاكات في الجرائم وبالأخص جرائم الجنس والقتل، والاغتصاب، وقصص الخطيئة والفسق والفساد. وصحف اليوم تحتوي على العديد من أمثال هذه المواضيع التي هي ثمار مرحلة التنافس الشديد بين صحف تلك المرحلة التي اطلق عليها لاحقاً مصطلح الصحافة الصفراء، اذ اتبعت هذه الحف كل وسيلة مثيرة لجذب المزيد من القراء بصرف النظر عن مدى فجاجتها أو سطحيتها وضحالتها.

ان هذه الصحف بدلاً من أن تقدم لقرائها المعلومة النافعة والحقيقية قدمت لهم مسكنات من الخطيئة والجنس والعنف، فضلاً عن الانتقادات الأخرى التي وجهت لهذه الصحافة والتي من ابرزها:-

المبحث الثالث: اخلاقيات الاعلام

ان قضية اخلاقيات الاعلام ليست قضية محلية او عربية ولكنها قضية عالمية تثير اهتمام وقلق الكثيرين في دول العالم نتيجة لتوسع وسائل الاعلام في نشر مساحات متزايدة من الموضوعات المتعلقة بالعنف والجريمة، والاثارة، والجنس، والكثير من الوان الترفيه والتسلية الهابطة.

وهناك العديد من الجمعيات التي تقام اساسا لتنظيم حملات ضد تجاوزات وسائل الاعلام تضم مئات الالوف من الاعضاء لتقليل الاثار الفاسدة لوسائل الاعلام على الجمهور، الاطفال منهم تحديدا،ولتغيير التشريعات الخاصة بالسينما، والتلفزيون، والفيديو، كما تسعى الى العودة الى طبيعة القيم الاسرية وتحديد خطوط ارشادية اخلاقية للمجتمع.[٨]

وهكذا ظهرت مواثيق الشرف التي تدعو الى حماية الجمهور من الاستخدام غير المسؤول، وحماية القائمين بالاتصال من التحول الى قوة لا تقدر مسؤوليتها تجاه اخلاق المجتمع.

أولاً: تعريف الاخلاقيات

يؤكد كثير من الكتاب والباحثين صعوبة وضع تعريف محدد لمفهوم الاخلاقيات Ethics ومفهوم اخلاقيات الاعلام mass Media Ethics ومع ذلك فهناك العديد من التعريفات المهمة في هذا المجال منها:

تعريف هوسمان:((بانها نوع من الفلسفة التي تتناول المسائل المتعلقة بالصح والخطأ، والخير والشر، وعلى ذلك فان كلة او مصطلح اخلاقي عادة ما يعني السلوك المتسق مع الصح والخير)).

اما لامبرج، فيعرفها ((بانها مجموعة من القيم والتي يبنى عليها الحكم بالصح او الخطأ)). [٩]

اما تعريف دائرة المعارف البريطانية للاخلاقيات فكان: [١٠]

((بأنها ذلك النظام الذي يوضع لتوضيح القواعد المتعلقة بممارسة مهنة معينة. بما يحقق صالح المجتمع، ويحقق الممارسة السليمة لتلك المهنة مما يساعد في تحقيق اهدافها الرشيدة)).

ان اصل كلمة الاخلاقيات Ethics مشتقة من الكلمة اليونانية Ethos وتعني الشخصية، او ما يفعله الفرد الصالح لتكون شخصيته جيدة، وعموما يجري التعامل مع هذه الكلمة على اساس الاختيار بين البدائل الجيدة والسيئة التي تكون امام الفرد، وبهذا توضَح ما ندين له وما يجب علينا من التزامات ومسؤوليات تجاه الاخرين.[١١]

ويذكر البعض ان الاخلاقيات الخاصة بوسائل الاعلام Media Ethics فرع من الفلسفة يحاول الترويج للقيم الجيدة، والسلوكيات الحميدة مقابل السلوكيات والقيم السلبية، ويرون ان معظم الاهتمام بهذا الفرع موجّه اساسا لمضمون وسائل الاعلام، بمعنى هل تنقل هذه الوسائل الصورة الحقيقية؟ وهل يمكن وصف سلوك القائمين بالاتصال على انه اخلاقي؟

ثانياً: المنظور الديني والمنظور الوضعي البراغماتي للأخلاق

الباحثون في الاخلاق ينقسمون بصفة عامة الى: دعاة الاخلاق الدينية، ودعاة الاخلاق الوضعية، فأصحاب الاخلاق الدينية يحاولون ان يُظهروا الوجود البشري على إن ثمة (حقيقية متعالية) او (قوة الهية) تضمن له سلامة التفكير والسلوك. [١٢]

بينما نجد الوضعيون يهيبون بالإنسان ان يلائم بين سلوكه وبين ماتقتضيه تقاليد الجماعة، او معايير الحضارة، منكرين قيام خير في ذاته او شر في ذاته، كما اوضحت ان القيم الاخلاقية نسبية، جزئية، متغيرة. [١٣]

واذا ركزنا على الفلسفة الاسلامية، والفلسفة البراغماتية كمثالين للأخلاق الدينية والوضعية لإرتباطهما بمفهوم المسؤولية، فسنجد ان الاخلاق الاسلامية لا يمكن ان تنفصل عن البحث الديني، بمعنى انه من الصعوبة بمكان ان نجد عند المسلمين علما اخلاقيا مستقلا عن الدين، فالبحث الديني من شانه ان ينظم السلوك الانساني، والقاعدة الايمانية في الاسلام ترى ان الله وحده هو المطلق، وان أيّة احكام انما ترتبط في النهاية به، بينما يرى الوضعيَون ومنهم البراغماتيون ان فكرة الترغيب والترهيب هي نقطة انطلاق سلوك المؤمن، وهي تهدم استقلال الاخلاق التي لا ينبغي لها ان تستند الى مبادئ ميتافيزيقية، او دينية، بل ان علم الاخلاق ينبغي ان يكون موضوعه ذلك الخير المحدد والذي يستطيع كل انسان ان يقوم به،[١٤] والواقع في نظر وليم جيمس، الفيلسوف البراغماتي الامريكي هو ((الكون الحقيقي الذي تكشف لنا عنه التجربة، وهو ذلك التجاوب مع حاجاتنا وميولنا والذي فيه نستطيع ان نعمل ونؤكد طابعها)).[١٥]

والبراغماتية كانت التعبير الاخلاقي عن علاقات الانتاج الرأسمالي، وهذا النوع من الاخلاق يقوم بحساب كل فعل تبعا لمقدار المنفعة المترتبة عليه، أو بمدى نجاحه العملي بغض النظر عن أي قيمة كامنة في هذا الفعل، [١٦] والمجتمع في هذا الوقت لا يأخذ منها الا بالقدر الذي يكفي لمساعدة النظام القائم على المضي في طريقه بنجاح.

ونحن نجد بالفعل في المجتمع الرأسمالي قدرا معينا من الفضائل لا تكتسب قيمتها الا لأنها تفيد الرأسمالي وتحقق مصالحه، كأن يكون امينا، ودقيقا، ومنضبطا، ومراعيا للمواعيد.

اما الفلسفة الاخلاقية في الاسلام فتحض على هذه القيم اكتسابا لمرضاة الله في المقام الاول، ولصالح حياة الفرد والمجتمع بعد ذلك.

ومـن هـذين المنظـورين نسـتنتج ان سـلوك الافـراد والمجـاميع البشـرية لا يمكـن ضبطه عن طريق التشريعات القانونية فقط، لذلك تكون الحاجة لمعايير اخلاقية تحدد النمط السلوكي لأفراد المجتمع (ومنهم الصحفيين) مع القيم الاجتماعية السائدة.

المبحث الرابع: الابعاد المهنية لأخلاقيات الاعلام

ان كان البعض يشعر ان قضية اخلاقيات وسائل الاعلام واسعة جدا، فهناك من يحددها بثلاثة ابعاد رئيسة هي: [١٧]

البعد الاول: بعد الوظائف التي ينبغي ان يؤديها الاعلام.

البعد الثاني: بعد معايير الاداء.

البعد الثالث: بعد القيم المهنية التي ينبغي مراعاتها.

وفيما يتعلق بالبعد الاول فعلى الصحافة ان تقوم بالوظائف الآتية:

١- إعطاء تقرير صادق وشامل وذكي عن الاحداث اليومية في سياق له مغزى.
٢- ان تكون منبراً لتبادل التعليق والنقد.
٣- ان تقدم صورة ممثلة للجماعات المتنوعة التي يتكون منها المجتمع.
٤- ان تهدف الى تحقيق اهداف المجتمع وقيمه وترسيخها.
٥- ان توفر معلومات كاملة عما يجري يوميا.
٦- ان تقوم المؤسسات الاعلامية بتقديم خدمة تتسم بالتنوع والكم الملائم لاحتياجات الجماهير.
٧- ان يقوم العاملين بمجال الاعلام بالنقد المتبادل والاستماع لبعضهم البعض.

اما ما يتعلق بالبعد الثاني فتشكل معايير الاداء بمجملها العام الضوابط الاخلاقية والقانونية التي تحكم ممارسة العمل الاعلامي في اطار من المسؤولية الاجتماعية والاخلاقية التي تحتّم على الاعلام ان يقوم بواجبه تجاه المجتمع، واهم هذه الضوابط القانونية والاخلاقية بالنسبة لوسائل الاعلام نفسها :

١- ضرورة تقديم وسائل الاعلام تغطيتها الاخبارية ومعالجتها الاعلامية في اطار من الصدق والامانة سعياً وراء تقديم الحقيقة كما هي.[١٨]

٢- ضرورة احترام وسائل الاعلام لخصوصية الافراد واحترام حياتهم الخاصة، فلا ينبغي لوسائل الاعلام ان تقتحم حياة الأفراد الخاصة، والتي من شأنها ان تربك حياتهم وتشّهر بهم أمام الرأي العام.[١٩]

٣- عدم الخروج عن قيم المجتمع واخلاقياته فيما يتصل بنشر كل ما يخالف ذلك، او يُلحق الضرر بالقيم الدينية لنشر المواد والمضامين الجنسية، او ما هو خارج عن الآداب العامة.

٤- الامتناع عن التشهير او الاتهام بالباطل والقذف والسب.

٥- عدم التحريض على أي عمل غير قانوني ضد شخص او مجموعة معينة في المجتمع.

٦- عدم نشر أي امور من شأنها التأثير في سير العدالة أو تشكل ضغطاً على القضاة، اذ لا يجوز محاكمة الاشخاص على صفحات الصحف قبل صدور حكم القاضي .

٧- نشر قرارات المحاكم في القضايا التي تناولتها وسائل الاعلام بالنشر .

٨- الفصل بين المادة التحريرية والمادة الاعلانية.[٢٠]

اما البعد الثالث وهو بعد القيم المهنية فيتمثل بالتقاليد التي يجب ان يمارسها الصحفي ويراعيها كي يضمن تحقيق المسؤولية في موضوعه، وهي ممارسات اساسية لعمل الصحفي ويمكن بوساطتها التفرقة بين ممارسة مهنية مسؤولة، وممارسة مهنية غير مسؤولة، بين تغطية خبرية جيدة، واخرى رديئة.

وتنقسم القيم المهنية الى :

١- قيم خاصة تتعلق بجمع المادة الخبرية ، وتتمثل بضرورة حفاظ الاعلاميين على المعلومات السرية التي يمكن ان يؤدي نشرها الى الضرر بالأمن القومي للبلاد، او بالأمن الشخصي للمواطنين، كما لا ينبغي للإعلاميين اللجوء الى وسائل غير اخلاقية،، او غير مشروعة لدفع مصادر المعلومات للحديث او الادلاء بالمعلومات، وهو ما لا يتفق مع القيم الاخلاقية للمهنة.[٢١]

٢- قيم مهنية تتصل بالمعالجة الاعلامية وتتمثل بـ:

- الصدق (الصدق الذاتي، صدق القول، صدق الفعل).
- الدقة والشمولية (خلفية كاملة عن الحدث ، طبيعة الظروف الزمانية والمكانية، الابعاد السياسية والاقتصادية للحدث).
- الموضوعية بابعادها المختلفة وتشمل : (الحياد ، وفصل الخبر عن الراي، التوازن في عرض وجهات النظر، تقديم الحقائق، توضيح مصادر المعلومات أي الاسناد).[٢٢]

وهكذا ظهرت الاتحادات المهنية بوصفها بداية للتنظيم الذاتي للصحافة لغرض فرض المبادئ الأخلاقية في العمل الإعلامي، ومحاربة الاستغلال، والتضليل، والكذب في ممارسته، فتأسست في الولايات المتحدة الامريكية ودول العالم الاخرى جمعيات عدة مثل: (جمعية ناشري الصحف الأمريكية، والجمعية الامريكية لمحرري الصحف، وجمعية الصحفيين المهنيين) والتي ادت دورا مهما في صدور مواثيق الشرف الاعلامية.

وقبل ذلك وبالتحديد في عام ١٩٢٣ صدرت مبادئ الصحافة canon of journalism من قبل الجمعية الامريكية لمحرري الصحفِ ASNE ، ثم تبعه ميثاق الاذاعيين عام ١٩٢٧، وميثاق انتاج وصناعة السينما عام ١٩٣٠، وقد كان هذا جهد ارادیا لتطوير معايير الاداء باتجاه المسؤولية في العمل الاعلامي.

وبرغم صدور هذه المواثيق فان نغمة النقد للصحافة لم تخف حدتها وهو ما دفع لجنة حرية الصحافة في امريكا لإصدار تحذيراتها لوسائل الاعلام لتحسين ادائها عام١٩٤٧م .

كما ظهرت مواثيق الشرف التي تدعو الى حماية الجمهور من الاستخدام غير المسؤول للإعلام وحماية القائمين بالاتصال من التحول الى قوة لا تقدّر مسؤوليتها تجاه اخلاق المجتمع .

ويفسر عدد من المنظرين الأميركان صدور مواثيق الشرف المهنية بأنها كانت تعبير عن الخوف من شبح التحكم والسيطرة الحكومية، ولمواجهة تدخّل الدولة لتنظيم مؤسسات الاتصال الجماهيري الكبرى، ولمعالجة الممارسات السلبية للحرية التي كانت ستؤدي الى المجازفة بقتل الحرية.[٢٣]

وقد ادرك الصحفيون ومالكو وسائل الاعلام ان النقد الذاتي أفضل بكثير من السيطرة الحكومية، لأن المشروع الخاص برمته أضحى معرضا للخطر من تدخل جهات وقوى اجتماعية أخرى تتحكم فيه.[٢٤]

المبحث الخامس: آليات تطبيق التنظيم الذاتي للنشاط الاعلامي

السؤال الصعب الذي ظل يراود اصحاب المهنة ومفكريها ومازال، هو كيف يمكن تحقيق التوازن بين حريّة الصحافة وحقوق الجمهور؟ كيف يمكن تحقيق علاقة متوازنة بين وسائل الاعلام والجمهور؟ تستعيد في ظلها وسائل الاعلام مصداقيتها، وثقة الجمهور فيها، وحماية حقوق الجمهور في الوقت نفسه، ومن اهمها حقه في تلقي معلومات صحيحة، ودقيقة تسهم في زيادة قدرته على التمتع في الحياة في مجتمع ديمقراطي، واحترام حياته الخاصة، وكرامته، وحق النشر الصحيح عنه.

ان ضمان مسؤولية الصحافة ووسائل الاعلام مع الحرص على عدم تدخل الدولة في مجال عملها شيء من الصعب تحقيقه، ولم يكن من سبيل سوى الدعوة الى التنظيم الذاتي للمهنة، وهو ان تقوم الصحافة بتنظيم نفسها بنفسها.

وكان من اهم آليات التنظيم الذاتي هو انشاء مجالس الصحافة، ومجالس الامبودسمان (محامي القراء) لضمان تطبيق ما ورد في مواثيق الشرف، واخلاقيات الاعلام، وقواعد السلوك التي اتفق عليها الاعلاميون، والتزام الاعلاميين بهذه المسؤولية تدفع بالمزيد منهم الى الالتزام بأخلاقيات وآداب مهنة الاعلام ومسؤوليتها الاجتماعية تجاه المجتمع .

وقد لاقت دعوة لجنة حرية الصحافة لصحافة حرة ومسؤولة صدى داخل الولايات المتحدة وخارجها في بلدان أوربا وعلى رأسها المملكة المتحدة، فتشكلت اللجنة الملكية الأولى للصحافة عام ١٩٤٩، ودعت الى وجوب احساس العاملين في الصحافة بمسؤولياتهم الاجتماعية، وان تقوم الصحافة بتنظيم نفسها بنفسها، [٢٥] وقد اجمع المنظرون ان الحرية السلبية في النظرية الليبرالية غير مرغوبة في المجتمع الحديث، وان الحرية لابد ان ترتبط بالمسؤولية، فالإنسان ليس كائنا عاقلاً راشداً بل عرضة لعمليات تأثير واسعة النطاق[٢٦] وهذه المسؤولية لا يمكن ضمان تحقيقها الا عن طريق تشكيلات مهنية لها صلاحيات مراقبة، وتقويم، ومحاسبة لأي خروج او تجاوز على التقاليد المهنية الصحيحة، وتأخذ صيغ المحاسبة هذه، التوجيه، والانذار، ولفت النظر، والغرامات، وغير ذلك من صيغ يرتأيها اصحاب المهنة لإلزام الصحفيين والصحف بالتمسك بأخلاقيات وآداب المهنة.

أولاً: مجالس الصحافة :

فكرة مجالس الصحافة فكرة سويدية الاصل، إذ أُنشيء أول مجلس للصحافة في العالم في السويد عام ١٩١٦ ليعمل وسيطاً بين الصحافة والجمهور، وظل هذا المجلس مؤسسة فريدة لمدة طويلة من الزمن، ثم بدأت الدول الاوربية في اقتباس هذه الفكرة وانشاء مجالس للصحافة في دولها.

ومجلس الصحافة يمثل، إنموذجاً لعملية التنظيم الذاتي لمهنة الصحافة، إذ يشترك في انشاءه وادارته هيئات مهنية من الوسط الاعلامي (روابط، واتحادات، ونوادي صحفية، ومنظمات، ونقابات) وممثلين عن الجمهور، ويمثل كل تنظيم مهني مشارك في المجلس عضواً واحداً، وهو أول تنظيم يشارك فيه اعضاء من خارج المهنة وهم ممثلي الجمهور. اذ تكوّن اول مجلس للصحافة من عضوين يمثلان الجمهور وثلاثة اعضاء يمثلون الصحافة، وفي عام ١٩٦٩ توسعت العضوية ليصبح ١٣ عضواً، ستة يمثلون الجمهور، وستة يمثلون الصحافة، فضلاً عن الرئيس الذي هو قاضي يتمتع بخبرة واسعة، وغالبا ما يشار الى مجلس الصحافة على انه محكمة شرف Court of Honor. [٢٧]

واقد اخذت فكرة إنشاء مجالس للصحافة طريقها للتطبيق في انجلترا والولايات المتحدة الامريكية ودول اخرى كثيرة، وقد حددت لهذه المجالس مجموعة من الوظائف والواجبات أهمها:

١- التنديد بالاعمال الصحفية التي توصف بالانحراف، واستدعاء الصحفيين الذين تبدر منهم ممارسات منحرفة، وتوجيه اللوم اليهم اذا اقتضى ذلك.
٢- التحقيق في الشكاوى التي يكتبها الجمهور ضد الصحف عندما تتعدى على الافراد والجماعات ولا تجد هذه الجماعات من يدافع عنها.
٣- انصاف المظلومين من الصحفيين حينما تثبت براءتهم من التهم الموجهة اليهم.
٤- الرد على الشكاوى التي لا تثبت فيها ادانة الصحافة، أو الاذاعة، أو التلفزيون، أو السينما وغيرها من وسائل الاعلام .

لكن المجلس لا يوقع عقوبات على الصحيفة ولا يقوم بتقدير تعويضات للمشتكي عما لحقه من اضرار، الا ان الصحيفة التي يصدر حكم من المجلس بإدانتها تقوم بمضاعفة مساهمتها في تكاليف انشطة المجلس، كما ان على الصحيفة ان تنشر حكم المجلس في مكان واضح وبعناصر ابراز تسهم في جذب انتباه القاريء اليها، ويمثل ذلك نوع من الادانة للصحيفة واشارة الى انها خرقت تقاليد العمل المهني الصحيحة .

وفي البلاد العربية تعد مصر من الدول العربية السباقة في تشكيل مجلس للصحافة اذ تأسس المجلس الاعلى للصحافة فيها عام ١٩٧٥،[٢٨] وأوكلت اليه مهمة اصدار الصحف، والترخيص بالعمل في الصحافة للصحفيين، ومتابعة تنفيذ ميثاق الشرف الصحفي عن طريق القيام برصد الممارسات الصحفية للصحف المصرية واصدار تقرير شهري يؤشر ويوثق الممارسات الصحفية غير المسؤولة التي قامت بها الصحف، الا ان هذا المجلس لا يؤدي المهام نفسها والواجبات التي بنيت عليها، فكرة المجالس الصحفية في دول العالم، كما انه لا يتمتع بالاستقلالية التامة التي تمثّل صمام سلامة ادائه لمهامه.

وفي الجزائر أُلغيت وزارة الاعلام عام ١٩٩٠ وشُكلَ مجلس اعلى للإعلام، أوكلت قيادته لهيئة منتخبة من الصحفيين الجزائريين. الا ان التجربة لم تدم طويلاً اذ اصيبت التجربة بالفشل، وجرت حملة واسعة من الاعتقالات والمحاكمات لمديري الصحف والصحفيين، وغلق العديد من الصحف، كما رافق ذلك موجة اغتيالات طالت العشرات من الصحفيين.[٢٩]

ثانياً: الامبودسمان* Ombudesman (محامي القراء)

وهو شكل اخر من اشكال التنظيم الذاتي لمهنة الصحافة اذ تقوم وسائل الاعلام بتمويله، ويرأس جهاز الأمبودسمان شخص يتمتع بفهم دقيق لأخلاقيات الصحافة والقضايا المتعلقة بها ويؤخذ في الحسبان خبرته الصحفية والمهنية، ويساعده عدد من الخبراء الذين يتمتعون بمعرفة كافية بأخلاقيات الاعلام .

الوظيفة الاساسية للأمبودسمان هي الاستماع الى شكاوي المواطنين ضد الصحيفة، او المحطة الاذاعية، أو التلفزيون، وبحث هذه الشكوى، ثم يقدم توصية تتضمن عادةً مقترحاً لمعالجة الموقف او تصحيح الخطأ او توضيح المعلومات، اذ يطلب من رئيس التحرير بنشر المادة محور الشكوى، او تخصيص مساحة معقولة في الصحيفة ليقوم المواطن بنشر رده فيها، او يُطلب من رئيس التحرير او مدير القناة ان ينشر اعتذاراً للمواطن .

---

* الامبودسمان كلمة اسكندنافية قديمة تعني الشخص الذي وظيفته التأكد من ان الشوارع قد جرى تنظيفها من الجليد، وجرى إزالة القاذورات من امام البيوت، وان مداخن بيوت المدينة قد نُظّفت، وهكذا فان وظيفة (الامبودسمان الصحفي) ازالة الحواجز بين القراء والصحافة، اما القواميس فتعرف الامبودسمان بانه موظف عام مهمته بحث الشكاوى ضد الحكومة.

اما اذا فشل جهاز الامبودسمان في حل النزاع بين الصحيفة والمواطن فانه يقوم ببحث الشكوى واصدار حكمه، اما برفضها اذا رأى انها لا تمثل انتهاكاً لمباديء ميثاق الشرف الصحفي او اخلاقيات الصحافة، واما ان يقوم برفع الشكوى مع نتيجة التحقيق الى مجلس الصحافة، وهذا يعني ان الصحيفة لا تستجيب لإجراءات المصالحة التي يقوم بها الأمبودسمان، ولا تقوم بعمل يرضي المشتكي وبذلك تعرّض نفسها لحكم يصدره مجلس الصحافة، وهذا يعني عقوبة اشد تتمثل بالاتي :

١- نشر حكم المجلس بإدانتها في مكان بارز على صفحاتها وبعناصر ابراز تجذب انتباه القاريء، وهذا يعني ادانة مهنية للصحيفة وان الصحيفة قد انتهكت اخلاقيات مهنة الصحافة.

٢- تُغرّم الصحيفة المدانة بمبلغ يعادل مبلغ مساهمة الصحيفة في انشطة مجلس الصحافة والأمبودسمان المقررة عليها، وهذه تشكل خسارة مادية للصحيفة.

لذا فان الصحف غالبا ما تفضل المصالحة مع المشتكي عن طريق جهاز الامبودسمان والحيلولة دون رفع الشكوى لمجلس الصحافة.

ويعلل أصحاب فكرة الامبودسمان ذلك، بان مهمة الامبودسمان هي كسب احترام الجمهور للوسيلة الاعلامية فالاحترام هو العاطفة الوحيدة التي يمكن ان تجعل الجمهور يتابع الوسيلة الاعلامية ويصدقها.[٣٠]

وقد أُنشأ اول أمبودسمان في الصحافة في السويد عام ١٩٦٩ نتيجة للاحتجاجات الشعبية ضد السلوك غير الأخلاقي للصحافة في تغطيتها لأخبار الجريمة خاصة، مما أدى الى ارتفاع الاصوات المطالبة بإصدار قانون يحد من حرية الصحافة اذا لم يتم تقوية تنظيمها الذاتي وتحسين ادائها.[٣١]

فضلا عن النقد الذي تعرّض له مجلس الصحافة واتهامه بالفشل في التوصل الى علاج لانتهاكات الصحافة لحقوق الجمهور، فجاءت فكرة الامبودسمان وهي الفكرة التي طبقتها الحكومة في السويد منذ زمن طويل، اذ عُيّن اول أمبودسمان في الحكومة عام ١٨٠٩.

وفي عام ١٩٨٠ أُنشأت منظمة الامبودسمان Organization of New Ombudsman(ONO) وهي منظمة عالمية تضم الصحف ووسائل الاعلام التي قامت

بتعيين امبودسمان، وقد اعلنت عام ١٩٨٨ ان عدد اعضائها بلغ (٦٤) عضواً، فضلاً عن (٢٤) عضواً يمثلون مراكز بحثية ومجالس صحافة.[٣٢]

وقد اخذت وسائل الاعلام في الولايات المتحدة الامريكية بتطبيق الفكرة ولكن بشيء من الاختلاف عن التجربة السويدية، اذ ان الامبودسمان في السويد عام لكل الصحف وقراراته تشمل الصحف السويدية كلها، اما في أمريكا فان كل وسيلة اعلامية تعين امبودسمان خاص بها، وكانت الواشنطن بوست أول صحيفة تعين امبودسمان خاص بها عام ١٩٧٠، بعدها أخذت الفكرة تنتشر في الصحف والشبكات التلفزيونية الامريكية، فأخذت به شبكة كولومبيا التلفزيونية C.B.S ثم تبعتها شبكات وصحف اخرى ارادت تفعيل مبدأ النقد الذاتي للإعلام عن طريق تعيين شخص ينبهها الى اخطائها، ويبصّرها بمسؤولياتها، بدلا من انتظار الغير (الحكومة، او الجمهور) للقيام بذلك ولكي تزيد مصداقيتها بنقد نفسها بنفسها.[٣٣]

وقد اشاد كبار الصحفيين الامريكان بهذا النظام مثل (ديفيد برودر) مساعد رئيس تحرير صحيفة (الواشنطن بوست) بقوله: لقد كان حصاد التجربة مثمراً فقد اصبح كل منا حريصاً على فصل الخبر عن رأيه، ونسب كل كلمة لمصدر واضح، كما نبهّنا لفحص وإعادة تقويم تصوراتنا المسبقة عن الموضوع المزمع اجرائه.[٣٤]

ان افضل مثال على تطبيق فكرة المسؤولية وآليات التنظيم الذاتي هو ما معمول به في النشاط الاعلامي السويدي اذ تكرست فكرة المسؤولية وتطورت واصبحت التزامات الصحافة نحو المجتمع تحظى بقدر من الاتفاق العام من جانب الصحفيين، ومالكي الصحف، والمنظمات المهنية، وهو ما اتاح لمجلس الصحافة، ومجلس الامبودسمان ان يؤديا وظيفتهما على الوجه الامثل، وان تتقبل الصحف والصحفيون احكامهما وتنفذها بدقة، وان يستجيب رؤساء التحرير لإجراءات المصالحة، ولم يكن ذلك ليحدث لولا التزام الصحافة نحو المجتمع، وادراك الجماعة المهنية الصحفية لدورها المجتمعي قد تكرست واستقر في النفوس والذي انعكس على ممارساتها المهنية، وهو ما اثار الاعجاب لدى الكثير من الصحفيين والكتاب الذين طالبوا بنقل الفكرة وتطبيقها في مجتمعاتهم .

النتائج

توصل الباحث بعد اجراءه لهذا البحث النتائج الاتية:

- آلية التنظيم الذاتي للعمل الاعلامي آلية عملية يمكن تطبيقها وليست خيالية صعبة التحقيق.
- ان اعتماد التنظيم الذاتي للعمل الاعلامي يجنب النشاط الاعلامي شرور التدخل الحكومي الذي يفسد حرية الصحافة، هذه الحرية التي هي عصب الاداء الاعلامي السليم وروحه ومادته.
- ان التنظيم الذاتي يتطلب اعتماد طيفا واسعا من القيم والقواعد الاخلاقية فى العمل الاعلامي.
- ان التطبيق الصحيح لآلية التنظيم الذاتي للعمل الاعلامي يتطلب توفير شروط عمل هذه الآليات، ومن اهمها اصدار مواثيق الشرف الاعلامي، وانشاء المجالس والجمعيات، او المنظمات التي تراقب تطبيق هذه المواثيق ولها سلطة توجيه الانذار، ولفت النظر، وادانة غير الملتزمين بها وحتى فرض غرامات مالية كبيرة.

التوصيات

يثبّت الباحث بعض التوصيات التي يرى انها ضرورية، ومهمة، وممكنة التحقيق ايضا وهي:

- يدعوا الباحث للأخذ بالتنظيم الذاتي للعمل الاعلامي في العراق لأنها الصيغة الامثل في العمل الاعلامي والتي اثبتت جدارتها في تحقيق التوازن الصعب بين ممارسة الحرية الصحفية بأبعادها الواسعة مع المحافظة على الالتزام بالمسؤولية تجاه المجتمع.
- كما يوصي نقابة الصحفيين بالإسراع في طرح ميثاق شرف للعمل الاعلامي في العراق، وتوجيه الدعوة الى اصحاب الاختصاص والمعنيين لرفدها بأراءهم وافكارهم وصولا الى استكمال مشروع مقترح لميثاق شرف اعلامي عراقي يُقر عن طريق المصادقة عليه في مؤتمر عام يُدعى اليه جميع الاعلاميين والمعنيين في العراق.
- كما يوصي الباحث بالمبادرة الى انشاء مجلس للصحافة يرتبط بنقابة الصحفيين العراقيين، هدفه الاساس رصد اداء وسائل الاعلام العراقية (صحف، اذاعات، قنوات التلفزيونية) ونشر تقرير سنوي للممارسة الاعلامية في العراق يحدد فيه بالتفصيل مواطن القصور، والخلل، والتجاوزات التي قامت بها وسائل الاعلام طيلة عام كامل،

لفرز الوسيلة الاعلامية الجيدة عن الوسيلة الاعلامية السيئة، وكشفها امام الجمهور واصحاب المهنة.

- حث الصحف ووسائل الاعلام المختلفة على تعيين ما اتفق على تسميته بالامبودسمان (محامي القراء) مهمته بحث الشكاوى التي تُقدّم من القراء، والمؤسسات ضد الصحيفة ذاتها، لأن احترام الجمهور للوسيلة الاعلامية هي العاطفة الوحيدة التي تستحق الإنتباة والتي يمكن ان تجعل الجمهور يتابع الوسيلة ويصدقها.

الهوامش والمصادر:

*يذكر المؤرخون ان الخبر المخطوط ظهر في اوربا اواخر القرن الثالث عشر وان اول خبر مخطوط ظهر في انكلترا سنة ١٢٥٧ م

١. د. خليل صابات، وسائل الاتصال: نشأتها وتطورها، ط٤ (القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٨٥) ص ٨ .١

٢. جيهان رشتي، الاسس العملية لنظريات الاعلام، ط٢ (القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨) ص٢٠ .٢٢

٣. ملفين ا. ديفلير وساندرا بول . روكيتش، نظريات وسائل الاعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، ط٣(القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩٩) ص ٩١

٤. المصدر نفسه، ص٩٢

٥. Edward Emery H.l. smithy the press and American Englewood clifts, MG prentice _ Hall 1954 p. 415

٦. ملفين ل . ديفلير وساندرا بول روكيتش، م.س.ذ، ص٩٨

٧. د. عبد اللطيف حمزه، ازمة الضمير الصحفي، ط٢ (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٢) ص١٦٥

٨. Annette Hill, asocial drama media violence controresies and antividence compagin groups, (London, focal press, 2000) p.p 248

٩. د. سليمان صالح، اخلاقيات الاعلام(الكويت: دار الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢) ص٥٧

١٠. the New Encycl opaedia Britainica. Genera. Rol.4.1985. B2 4

١١. jay Blac, jennings Bryant & susan Thompson, lntrodution to media communication(New york. Mc grow Hill, 1998) p.388

١٢. زكريا ابراهيم، المشكلة الخلقية (القاهرة: مكتبة مصر،١٩٦٩)ص٨١

١٣. فيصل بدير عون وسعد عبد العزيز حباتر، دراسات في الفلسفة الخلقية (القاهرة: مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٣) ص٢٩٦

١٤. المصدر نفسه، ص٢٩٧

١٥. زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة (القاهرة:مكتبة مصر، ١٩٦٨) ص٣٣

١٦. زكريا ابراهيم، افاق الفلسفة (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٥) ص٥٤

١٧. Melvin defleur and everette dennis, understanding mass communication: aliberd arts perpective, 6TH Ed(New jersey, houghton Mifflin, 1996) p.p.417-419

١٨. د. جيهان رشتي، الاعلام وقضايا المجتمع(القاهرة: كلية الاعلام،٢٠٠٠) ص٢٧

١٩. د. ليلى عبد المجيد، الصحافة في الوطن العربي(القاهرة: العربي للنشر والتوزيع،١٩٩٠) ص٥٥

٢٠. المصدر نفسه،ص٤٥

٢١. Joel rudinow& Anthony Graybasch, Ethics values In formation Age(united states: wodwarth, 2002) p. 95

٢٢. سليمان صالح، اشكالية الموضوعية في وسائل الاعلام، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، العدد الثالث ايلول ٢٠٠١ ص ١٣٥

٢٣. Frederick whinley, mass media communication society (low, Brown company, 1975) p. 105

٢٤. جيهان رشتي، م س ذ، ص٩

٢٥. سليمان صالح، مفهوم حرية الصحافة، دراسة مقارنة بين جمهورية مصر العربية والمملكة المتحدة ١٩٤٥ . ١٩٨٥ ، اطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٩٢ ،ص٢٥١

٢٦. Robert Lichter, The Media Elite and American Values (New York: M.D. Center Inc., 1982) P.21. ٢٦

٢٧. سليمان صالح : مفهوم حرية الصحافة ، ص٢٥١.

٢٨. المجلس الاعلى للصحافة، الصحافة الصفراء في مصر(القاهرة: مطابع اخبار اليوم ،٢٠٠٢) ص١٦ .

٢٩. رشا الاطرش ، قوانين الاعلام ، كيف تكون الحياة بدونها ، WWW.al arabnews.com alshaab/GIF, 2002 .

٣٠. د. سليمان صالح ، المصدر السابق، ص١٢.١٥

٣١. Nauman. A.; "New Ombudesman : Its History and rationale presentation was made in symposium entitled", (Seoul: press regulation , 1994) P.67.

٣٢. د. سليمان صالح ، المصدر السابق، ص٢٥

٣٣. Michael Emery et al ; "Reading in Mass communication", Brower company , 1974) P. 51 . ٣(Low

٣٤. David Broder; "Behind the Front page" , (New York : Siman and Schuster , Inc, 1987) P.340.